التركيب والبناء فى العربية

دفعني الى الكتابة فى هذا الموضوع ما ذكره المستشرق الألماني Brochelmann فى دراسته المطولة المقارنة فى اللغات السامية ، وهو : أنْ ليس فى اللغات السامية ادغام للسكنات [1] . ولا يريد بالادغام فى مقالته ما أراده النحويون فى هذا المصطلح الذي أفردوا له بحثاً طويلاً مسهباً فى كتبهم . وانما يريد به وصل كلة بأخرى بحيث يتكون منهما كلة واحدة ذات معنى مؤلف من معنى الكلمتين المستقلتين .

ولعله أصاب لو استعمل « التركيب » مصطلحاً لغوياً لما أسماه بالادغام . وكأنه أحسّ أن فى العربية شيئاً كثيراً من التركيبات ، وهذا الشيء الكثير يفسد عليه رأيه ، فاستدرك أن التركيب غير قديم فى اللغات السامية ، وأن هذه اللغات كانت خالية مما أسماه « بالادغام » فى عصورها القديمة ، وليس من حجة علمية تأريخية تثبت صحة هذه الدعوى .

والذي ثبت فى التحقيق العلمي أن فى العربية تراكيب كثيرة ، وأنها استفادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني . وقد اعتمد « البناء » فى العربية على التركيب بصوره المختلفة ، ولعل من المفيد أن أنبه أنى لم أرد « بالبناء » المصطلح النحوي الذي يقابل الإعراب ، وانما أردت به بنية الكلمة Structure .

ويدخل التركيب فى بنية كل من الاسم والفعل والحرف ، ولعل التركيب فى الحروف يشير الى قدم هذه الوسيلة فى العربية ، وسنعرض للادوات التي أفادت من التركيب على مر العصور وكر الدهور ، فلزمت صورتها المعروفة والتي ورثتها العربية واستعملتها وكأنها كلات مستقلة . ولو نظر الباحث فى هذه الكلمات لوجدها مركبات استفادت من التركيب ، ولا سيما فى صورتها

---

(١) Brockelmann, Grundriss I, S. 5

النحوية ، والنحت لون من ألوان التركيب في العربية خضعت له الحروف والاسماء . وكان مذهب الخليل بن أحمد : ان الكلمتين اذا ركبتا ، ولكل منهما معنى وحكم ، اصبح لهما بالتركيب حكم جديد »[1] . وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ، ومنهم الكسائي (والفراء) ، وليس كما أراد الاستاذ طه الراوي من : أن الخليل قد شذ عن جمهرة النحاة في رأيه في الأدوات النحوية [2] .

ولنا أن نعرض الأدوات التي دخلها التركيب على طريقة النحت فلزمت صورتها المركبة الموروثة :

١ — لن

وهي مركبة عند الكسائي من الكوفيين وحده ، وعنده أنها مركبة من « لا » و « أن » وحذفت الهمزة تخفيفاً ، والألف لساكنين [3] .

وقول الكسائي في « لن » هو قول الخليل وهو صاحب الرأي فيه ، جاء في كتاب سيبويه :

فأما الخليل فزعم أنها « لا أن » ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم ، كما قالوا : ويلمه ، يريدون ويلأمه وكما قالوا يومئذ ، وجعلت بمنزلة حرف واحد »[4] .

وعن الأزهري : انه « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل »[5] .

على أن جمهور البصريين يرد هذه المقالة ويقول بعدم تركيب « لن » وإنها : حرف بسيط برأسه وهو مذهب سيبويه لأن الأصل في الحروف عدم التصرف »[6] وليس أصله « لا »

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ـ حرف الكاف ـ .

(٢) طه الراوي : تاريخ علوم اللغة العربية ، ص ٢٨ .

(٣) الاشموني ، الشرح ج ٣ ص ٢٨٣ ؛ ابن هشام ، المغني حرف اللام .

(٤) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ٤٠٧ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ـ مادة لن .

(٦) الزبيدي ، تاج العروس ـ مادة لن .

فأبدلت الألف نوناً كما ذهب جماعة من اللغويين [1] . فذهب الفراء مثلاً الى أن أصل « لن » و « لم » لا فأبدلت الألف نوناً في أحدهما وميماً في الآخر [2] .

وما دام القدامى قد قرّبوا بين « لن » و « لم » فلا بد لنا من النظر فيها والقول بتركيبها وإن لم ينص عليه متقدم من اللغويين والنحويين وقد قال بهـــذا المستشرق الألماني « برجشتراسر » فزعم : أن أصل النفي في العربية أن يكون بلا وما ، وأن العربية قد اشتقت من « لا » أدوات منها : ليس ، ولن ، ولم ، وقال : « لن: مركبة من « لا » و« أن » ولم « ربما كانت مركبة من « لا » و « ما » الزائدة [3] .

وقال في مكان آخر حين عرض لحروف العطف : « ثم » خاصة بالعربية ويظهر أنها مشتقة من « ثم » القابلة لـ Sam العبرية و tamman الآرامية ، و (او) سامية الأصل ، و (أم) حديثة عربية ، وأصلها : أما ، كما ان (لم) اصلها la-ma وكم أصلها « Kama » [4] . والذي رأيته أن النحويين المتقدمين لم يقولوا بالتركيب وردوا هذا الرأي الى الخليل والكسائي ، أما المتأخرون فقد قالوا بالتركيب ولا سيما اللغويين منهم ومن هؤلاء ابن جني في سر صناعة الاعراب .

٢ — كأن

وهي مركبة من الكاف و « أن » ، فأصل قولهم كأن زيداً عمرو ، إنما هو إن زيد كعمرو ، فالكاف هنا تشبيه صريح وهي متعلقة بمحذوف . ثم إنهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عليه عقدوا الجملة ، فأزالوا الكاف من وسطها ، وقدموها إلى أولها لافراط عنايتهم بالتشبيه ولاجل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الرضي ، شرح الكافية ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ، ص ١١١ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٩ .

تقديم الكاف فتحوا همزة « إن » [1] .

ويلتزم ابن جنى قاعدة التركيب ويرفض ما عداها ، فهو يذكر رأي الخليل فى « لن » وتركيبها ويقول به ويعقب عليه بقوله : « فهذا يدلك أن الشيئين إذا خلطا حدث لهما حكم ومعنىً لم يكن لهما قبل أن يمتزجا ألا ترى أن لولا مركبة من «لو» و « لا » ومعنى «لو» امتناع الشيء لامتناع غيره ، ومعنى « لا » النفي أو النهي . فلما ركبا معاً حدث معنىً آخر وهو امتناع الشيء لوقوع غيره . فهذا فى « لَن » بمنزلة قولنا كأنٌ ومصحح له ومؤنس به وزادَ على سيبويه ما ألزمه الخليلَ » [2] .

٣ — لـكن

اختلف فيها النحويون فهي بسيطة عند البصريين [3] . وهي مركبة عند الفراء من الكوفيين من « لـكنْ » و « أنْ » فطرحت الهمزة للتخفيف ونون لـكن لالتقاء الساكنين كقوله :

« ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضل » [4] .

وهذا علة نصبها الاسم عنده [5] .

ويرى غير الفراء من أهل الكوفة أنها مركبة من « لا » و « أن » و « الكاف الزائدة لا التشبيهية وحذفت الهمزة تخفيفاً » [6] .

ولعل السبب فى اختلاف رأيهم فى هذه المواد يرجع الى أنهم لم يستكملوا أدوات البحث

(١) ابن جنى (سر صناعة الاعراب ص ٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة لـكن .

(٤) ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ٢٢٩ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس .

(٦) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٨ ص ٧٩ ؛ ابن هشام ، المغنى ج ١ ص ٢٢٩ .

اللغوي في اللغة العربية وذلك بقضيهم النظر في اللغات السامية الأخرى ليستطيعوا أن يقطعوا برأي علمي أسبل . ذلك أن النظر في العبرية يهدي الباحث الى القول بتركيب هـذه المادة من « لا » و « كن » ، و « Ken » في العبرية تعني « هكذا » . وبهذا قال « برجشتراسر » في محاضراته الموسومة بالتطور النحوي للغة العربية [1] .

وقول بعض الكوفيين بتركيبها من « لا » والأحرف الزائدة الاخرى أقرب الى الصواب وأهدى الى الطريق الصحيح الذي توصل اليه بالفطنة والنظر السديد .

٤ — ليس

يرى الخليل انها مركبة من لا ايس فطرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء » [2] . وهو قول الفراء أيضاً والدليل على ذلك قول العرب : « ائتني به من حيث ايس وليس أي من حيث هو ولا هو » [3] .

أما غير الخليل من البصريين فقالوا بخلافه . فهي عند ابن السراج حرف بمنزلة « ما » والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم [4] .

والقول بفعليتهـا وحرفيتهـا كثير ، قال ابن سيدة : « ليس كلمة نفي وهي فعل ماض وأصلها لِيس بكسر الياء » [5] .

وذهب ابن هشام الى انها فعل لايتصرف ، وزنه فعل بالكسر ، ثم التزم تخفيفه ولم تقدره فعل بالفتح لأنه لا يخفف ولا فعل بالضم ، لانه لم يوجد في باب البين » [6] .

(١) برجشتراسر ، التطور النحوي ، ص ١١١ .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ليس .
(٣) الزبيدي تاج العروس ، مادة ليس .
(٤) ابن هشام ، المغني حرف اللام ج ١ ص ٢٢٢ .
(٥) ابن منظور لسان العرب مادة ليس .
(٦) ابن هشام ، المغني ج ١ ص ٢٢٢ .

وقول العرب « التي به من حيث ايس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك أن ايس يعني الوجود و « ليس » يعني عدم الوجود .

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا فالمادة « يش » في العبرية تفيد الوجود والمادة ايث في الآرامية تفيد الوجود وقد ركبت « لا » مع هذه المادة التي تفيد الوجود . والى هذا ذهب برجشتراسر في بحثه [1] .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القول بتركيب « ليس » من « لا » و « ايس » فقولهم « ايس » الدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » وهي مقلوب لكلمة « أيش » السامية ، والتي وجدت في العبرية مؤدية هذا المعنى ، والتي تحجرت في العربية في جمل معدودة مفيدة في معجمات اللغة في قولهم « ايس » . فكأن « ليس » « لا ايس » أي أنهما من « لا ايش » ومعناها « لاشيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت ليس .

٥ — لات

ولا بد للباحث في « ليس » أن يعرض لـ « لات » وهي أداة من أدوات النفي ألحقت بليس وعملت عملها وقيدت بشروط .

وقد علل النحويون التاء في هذه الأداة فقال جماعة إنها للتأنيث ، وقال آخرون إنها للتأنيث ، وقال آخرون إنها المبالغة [2] وفاتهم أنها مركبة ولم يفطنوا إلى تركيبها . وهي لا تختلف عن ليس . وربما كانت « لا ايث » فصارت في العربية « لا ايت » ثم استفادت من النحت فصارت « لات » [3] .

---

(١) برجشتراسر ، التطور النحوي ص ١١١ .

(٢) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

(٣) جاء في ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٤ ما نقله لنا فيه من فائدة في هذا الباب : « وقال بعض البغداديين : التاء تزاد في أول حين ، وفي أول أوان وفي أول الآن وانما هي « لا » ثم ابتدىء =

٦ — لهنك

ذهب الفراء الى أنها منحوتة وأن أصلها : « والله إنك كما روى عن أبي أدهم الكلابي : له ربي لأقول ذلك . يفسر اللام ثم حذف حرف الجر كما يقال : الله لافعلن ، وحذفت لام التعريف أيضاً كما يقال : لاه أبوك أي لله أبوك . ثم حذف الف « فعال » كما يحذف من الممدود اذا قصر كما يقال : الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله في سهيل إذا ما الله بارك في الرجال

ثم حذفت همزة إنك »[1] .

ولم يقل سيبويه بتركيبها . وقد ذهب إلى أنها كلمة تتكلم بها العرب في حال اليمين ، وليس كل العرب تتكلم بها .

تقول العرب: لهنك لرجل صدق ، يريدون . « إن » ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف[2] .

وقد قال الفراء بتركيب كثير من الأدوات « فمذ » مركبة عندة من « من » و « ذو » وحذفوا الواو تخفيفاً[3] ، و « هلم » عنده مركبة من « هل لم » أي أقصد فحذفت الهمزة بأن القيت حركتها على اللام وحذفت فصارت : هلم[4] .

٧ — مهما

هي مركبة عند الكوفيين من « مه اسم فعل بمعنى أكفف زيد عليها « ما » فحدث

= فتقول : نحن وثلاثة . » وربما كان في هذا مفتاح الأمر في تركيب « لات » حيث ان من شرط إعمالها أن إسمها وخبرها اسمي زمان وأن يحذف الاسم غالباً ولم تجيء « لات » إلا في قولهم :

لات سين مناص أو ما حل على الحين مما يراقعه .

(١) الرضي ، شرح الكافية جـ ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) سيبويه ، الكتاب جـ ٢ ص ٤٢٤ .

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل جـ ٤ ص ٩٥ .

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل جـ ٤ ص ٤٢ .

بالتركيب معنى لم يكن » [1] .

وهي عند البصريين مركبة من « ما » الشرطية زيد عليها « ما » فثقل اجتماعها فأبدلت الأولى هاء [2] .

٨ — مهما

هي اداة كوفية أضافها الكوفيون الى أدوات الجزم [3] واحتجوا لها بقول الشاعر

أما وىّ مهمن يستمع فى صديقه أقاويل هذا الناس ما وىّ يفدم [4]

وهي مؤلفة من (مه) و (من) وتركيبها كتركيب « معها » ولم يقل بها البصريون [5] .

ودخل التركيب فى الأسماء ، والمركبات من الأسماء معروفة في كل زمان، وقد أفادت منها العربية فى تكثير المعاني . وفى العربية قدرة على الاستفادة من هذا النوع ، وهي دائمة الاستفادة منه . وربما وجدنا في اللهجات الدارجة الشيء الكثير من هذه المركبات . وللمجاورة والاتباع فى العربية أثر فى هذا .

والمركبات على ضربين : ضرب يقتضي تركيبه أن يبني الاسمان معاً ، وضرب لا يقتضي تركيبه الا بناء الاول . فمن الضرب الأول نحو العشرة مع ما يُضَف عليها ، الا اثنى عشر ، ونحو قولهم وقعوا فى « حيصَ بيصَ » ولفيته « كفةَ كفةَ » ، و « صحراَ بحرةَ » ، وهو جارى « بيتَ بيتَ » ، ووقع « بينَ بين » وآتيك « صباحَ مساءَ » و « يومَ يومَ » ، وتفرقوا « شذرَ بذرَ » و « شذرَ مذر » و « جذعَ مذع » وتركوا البلاد « حيث بيث » و « حاثِ

(١) الاشموني ، الشرح ج ٤ ص ١١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الهروي ، مدرسة الكوفة ص ٢٦٦ .

(٤) الرضى شرح الكافية ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٥) ربما كانت هذه الاداة من استخدام التنوين في « معها » كما استخدم التنوين في « ما » فصار « من » .

ومنه « الخازباز » .

والضرب الثاني نحو قولهم أفعل هذا بادى بدي وذهبوا أيدى سبا ، ونحو معدى يكرب وبعلبك وقالى قلا [1] .

والذي يلاحظ في هذا الباب أن العربية حين بنت جزءي المركب اختارت الفتح التماساً للخفة ، والخفة مُتطلبة في هذا الباب ذلك أن المركب كلمة طويلة ثقيلة . ومع هذا فقد جوز الفراء اعراب العدد المركب [2] .

ولقد جد في العربية مركبات منحوتة اقتضاها الدين الاسلامي الحنيف ، وهذه المنحوتات أبنية تحت كل منها من كلمتين أو أكثر ، كالبسملة ، والحمد لله ، والحوقلة ، أوالحوقلة ، والهيللة ، والحسبلة ، والحيعلة ، والسبحلة ، فانها منحوتة من : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إلـه إلا الله ، حسبي الله ، حي على الصلاة ، سبح الله لمن حمده . وقد اشتق من هذه المنحوتات أفعال رباعية فقيل بسمل وحمدل وحسبل ...

وذهب ابن فارس الى أن أكثر الابنية التي تزيد أصولهـا من ثلاثة منحوتة من كلمتين ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر ، من ضبط وضبر وفي قولهم سهصلق ، من سهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من الصلد والصدم [3] .

وربما كان في الصلدم قول غير هذا فهو صلد أُبدِّل باللام خدمة للتميم مقابلةً للتنوين .

ومن المركبات المنحوتة قولهم « ايش » يريدون به أي شيء [4] ، فقد نص عليـــه ابن السيد في شرح أدب الكاتب وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقد وقع في شعر قديم :

من آل قحطان وآل ايش

---

(١) الزمخشري ، المفصل ص ١٧٦ .

(٢) السيوطي ، همع الهوامع ، باب العدد .

(٣) ابن فارس الصاحبي ص ٢٢٢ .

(٤) الخفاجي ، شفاء الغليل ص ١٥ .

وقد استخدمت النون في بناء الرباعي من الأسماء فقيل ضيفن ، وهرشن وشدقن ورعشن كما استفيد من الميم فقيل خضرم وصلدم .

وقد دخل النحت في الأفعال غير الثلاثية فالرباعي دحرج [1] مؤلف من « دحر » و « درج » وقد ذهب هذا المذهب ابن فارس كما أشرنا الى ذلك . وقد ذهب الزمخشري في الكشاف الى أن قرضب آت من « قرض » و « قضب » [2] .

وبناء الرباعي في العربية جاء بطرق عدة منها :

١ — اضافة ميم ذيلاً أو كسماً Suffixe كقولنا : حرجم .

٢ — الاستفادة من التنوين كما في ضامن وتضامن والأصل هو تضام .

٣ — الاستفادة من فك الادغام في المضعف والتعويض من الحرف الأول المضعف حرفاً آخر هو النون مثلاً كقولهم :

جندل وهو من جدّل

قنطر وهو من قطّر

وفك الادغام والتعويض بالنون شهير في العربية فضمير المخاطب المنفصل أنتَ وأخواته هو « انتّ » في سائر اللغات السامية .

وقد ورد الادغام وفك الادغام في ألفاظ كثيرة مثل قبّرة قنبرة .

وكقولهم حنجرة وسنبلة ، ودنبله .

ولعل فك الادغام هو الذي جاء بالفعل « انطى » وهو من أتى بمعنى اعطى .

---

(١) يرى بعض الباحثين الى أن الفعل دحرج آت من درج ثم أبدل من الراء الأول حاء .

(٢) يلوح أن الاصل في قرضب هو قضب والراء تعويض من الضاد الأولى . والتعويض بالراء ظاهرة سامية معروفة فالكلمة الآرامية « ترتين » تقابل اثنين في العربية والراء فيها عوض من النون ، وكذلك « بر » و « برتا » الآراميتين تقابلان « ابن » و « بنت » . ولا وجه للرباعي « فرقم » إلا هذا السبيل فهو من فقم .

جاء في الآية الكريمة : « وآتى المال على حبه » ثم حدث ابدال بين التاء والطاء . ولهذا نقول القدامى « باستنطاء بكر » لا أساس له ، فهو من هـذا البـاب . وليس الاستنطاء مفيداً ببكر دون غيرها ، والدليل وجود الكلمة حية في سائر أقطار العربية .

وقد يعوض بالهاء : « فُمرٌ » تصبح « جمهور » وهو من « جمٌ » .

٤ — الاستفادة من الميم صدراً في الفعل «Préfixe» كقولهم : مَسخَر ومشدق .

٥ — الاستفادة من الشين كسماً في الفعل كقولهم في اللسان الدارج « حركش » وهو لم يصبح فصيحاً بعد . والشين التي تذيل الأفعال ، مقتطعة من « شيء » فقول العامي « دكش » يريد به دقّ شيئاً . وكقولهم « لا شي » و « تلاشى » وهو مركب منحوت من « لا » « شيء » .

٦ — وربما خرج العامي من الشين الى الجيم لفائدة معنوية ، فقوله « صخوج » اثبات لما فيه قوة الصخر وطبيعته ، ومنه « صفرج » اثبات لما فيه شيء من الخضرة .

ابراهيم السامرائي